أعجوبة الدهر

الشيخ ابن فضل اللّه العمري الدمشقي

٧٠٠هـ ـ٧٤٩هـ /١٣٠١م ـ١٣٤٩م

محمد فقي رسول

A wonder of age Alshaykh Ibn Fadlallah Alomeri

One of the important scientific characters in the scientific history, he authored several books, more significant is (cities routes in regions kingdoms) It has Twenty-seven volumescontainingvaluable information. It is scientific encyclopedia of wide interest It seems that Ibn Fadllah Alo`mari was agreat scholar and has many knowledges

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة

الحمدلله العليم العلام وأفضل الصلاة وأكمل السلام على نبيه الأمي خير البرية والأنام وعلى آله وأصحابه والتابعين له والسائرين على دربه من المتقين والعلماء الأعلام إلى يوم الدين والقيام.

أما بعد..

فان العلامة الشيخ ابن فضل الله العمري يعد بحق شخصية يخجل القلم أن يكتب عنه أسطراً في بعض صفحات؛ ذلك لأنه نادرة من النوادر، وأمره في غاية الغرابة والعجب بالمقارنة بما هو موجود في عصرنا عصر السرعة والتقنيات وأنواع الوسائل؛ وذلك عندما نراه وقد توفي عن عمر لم يتجاوز التاسعة والأربعين وترك لنابعده ما ترك من هذه الذخائر النفيسة من المواهب والعلوم المختلفة التي لا ريب أن الله تعالى هو الذي قد خصه بها وأكرمه جل في علاه؛ فعمله هذا يبهر العقول، ويدهش النفوس، وتشخص الأبصار، وتصيب الجلود بالقشعريرة، وتجعل كل هذه تسأل نفسها كيف استطاع هذا الإنسان الإنسان أن ينبع عقله بكل هذه الأصناف من العلوم ؟وكيف استطاع أن يصنفها في تلك الأعداد من المصنفات في هذه القلة من السنوات؟ فموسوعته: (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) التي ذاع صيته بها تبلغ سبعة وعشرين مجلدا! تشتمل على مختلف الفنون والعلوم؛ فيبحث في الجزء الأول والثاني جغرافية الأرض وأقاليمها وبرها وبحرها، والقبلة والأدلة عليها.

ويبحث في الجزءين الثالث والرابع ممالك الإسلام، والهند، وجنكيزخان، والجبال، والأتراك، ومصر، والشام، والحجاز، واليمن، والحبشة والسودان، ومالي، وجبال البربر، وأفريقيا، وبر العدوة، والأندلس.

ويبحث في الجزءين الخامس والسادس سكان الأرض، ومشاهير القراء، ومشاهير المحدثين، ومشاهير الفقهاء، والأئمة الأربعة، والظاهرية.

وفي الجزءين السابع والثامن يبحث أهل اللغة والنحويين في العراق، والشام والحجاز، ومصر، وأفريقيا، والأندلس، وكذلك طوائف الفقراء .

ويبحث في الجزءين التاسع والعاشر الحكماء، والهرامسة، واليونان، والمغاربة، والأطباء العرب، والسريان، وبلاد العجم، والهند، ومصر، وحكام أهل الموسيقى.

ويبحث في الجزءين الحادي عشر والثاني عشر الوزراء والكتاب في العراق، والشام، والحجاز، ومصر، وأفريقيا، والكتاب المغاربة، وشعراء مصر .

وفي الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر يبحث شعراء الجاهلية، والمخضرمين، وبني أمية، والدولة العباسة، وشعراء مصر، والشام، والحجاز، ومصر.

وفي الأجزاء العشرين والحادي والعشرين والثاني والعشرين يذكر الحيوان، والدواب، والطير، والهوام، والحشرات، وحيوان الماء.

وفي الجزء الثالث والعشرين يذكر الديانات، وطوائف المتدينين.

وفي الجزء الرابع والعشرين يتحدث عن دول الحسنيين والحسينيين، والدولة العباسية، والدولة الأموية

وفي الجزءين الخامس والعشرين والسادس والعشرين يتحدث عن حكام بني إسرائيل، وملوك الهند، والصين، والترك، والفرس، واليونان، والسريان، والأفرنج، والسودان، وملوك العرب، والهجرة، وتأريخها، والخلفاء الراشدين، وخلفاء بني أمية، وابتداء الدولة، والدولة الأموية بالأندلس، والبرامكة، ودولة بني زياد، وملوك اليمن، والدولة الفاطمية، وملك بني بويه والسلجوقيين والملثمين.

وخصص الجزء السابع والعشرين لذكر استيلاء الفرنج على طرابلس، وملك صلاح الدين الأيوبي، والحروب الصليبية، وذكر حوادث اليمن، وبقية تاريخ الهجرة إلى سنة ٧٤٤هـ.

مع كل هذا وذاك فهذه المخطوطة التي تعد موسوعة بعينها ــ وبحق ــ كما تبين لا حتوائها على مختلف الفنون؛ إلاأنها ومع كل الأسى والأسف لا تزال مخطوطة ولم يطبع، ولم يحقق منها سوى مقتطفات منها؛ وهذا ما يؤثر في النفس سلباً، ويجعلها تشعر بالحزن الشديد؟!!

إذن فلا بد لنا أن ننصف الشيخ، ونقر بأنه أعجوبة من الأعاجيب؛ لا بل ولي من أولياء الله تعالى الذين خصهم بنعمه وأكرمهم بكراماته، فأولئك الذين أنعم الله عليهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون، ونحن لا حول لنا ولا قوة سوى أن ندعوه تعالى ونرجوه أن يغض النظر عن ذنوبنا، ويعفو عن تقصيرنا، ويكفر عنا سيآتنا، ويشملنا برحمته ببركة هؤلاء وأمثالهم؛ انه سميع مجيب .

الباحث

هذا ويتألف البحث من فصلين:

الفصل الأول : سيرته الذاتية؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ــ لقبه ــ نسبه ــ نسبته ــ مولده

المبحث الثاني : خلقه وأوصافه

المبحث الثالث : حياته العامة

المبحث الرابع : وفاته

الفصل الثاني : حياته العلمية؛ وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : ثقافته

المبحث الثاني : شيوخه

المبحث الثالث : تلامذته

المبحث الرابع : مؤلفاته

الفصل الأول

سيرته الذاتية

المبحث الأول:

اسمه - كنيته - لقبه - نسبه - نسبته - مولده

أ- اسمه - كنيته - لقبه - نسبه:

أ-هو: أحمد بن يحيى بن فضل الله[١] بن مجلي بن دعجان[٢] بن خلف بن أبي الفضل، نصر بن منصور بن عبيدالله بن علي[٣] بن محمد بن أبي بكر، عبدالله بن عبيدالله بن أبي بكر بن عبيدالله الصالح بن أبي سلمة عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، القاضي، الكاتب شهاب الدين أبو العباس ابن القاضي أبي المعالي محيي الدين القرشي، العدوي، العمري، الدمشقي، الشافعي، رحمه الله تعالى.

ب- نسبته:

كما هو واضح وجلي في مصادر ترجمته فإن العلامة ابن فضل الله عمري النسبة؛ تصل سلسلة نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)فليس لأ حد أن يطعن في سلسلة نسبه هذه، فضلا عن نص قوله[٤] رحمه الله تعالى عندما يقول : انه ينتمي إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في نسبه، وهذا كله يدحض ببداهة تشكيك ابن حجر العسقلاني[٥] في انتمائه إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما يقول : إن السبب في نسبته إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إنما هوتصنيفه كتاب فواضل السمر في فضائل آل عمر ليس إلا، ناسيا أن العلامة ــ رحمه الله تعالى ــ إنما صنف هذا الكتاب افتخاراً بانتمائه إلى آل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)؛ ولم يصنف في غيره من الخلفاء الأربعة؛ إذن لا غبار مطلقا على نسبته، وانتمائه إلى سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، والله أعلم بالصواب.

ج/مولده :

ولد العلامة ابن فضل الله العمري بدمشق في الثالث من شهر شوال سنة ٧٠٠هـ [٦] / الشهر العاشر من سنة ١٣٠١م، وهذا هو المشهور في مختلف كتب تراجمه؛ إلا أن بعض المؤرخين قد خالف هذا الرأي وهو الصفدي؛ إذ يشكك؛ فيقول[٧]: والظاهر أن

مولده: سنة ٧٠٠هـ، وكذلك قول صاحب الرد الوافر الذي يشير إليه عمر رضا كحالة في هامش معجمه[٨]: إن مولده :سنة ٦٩٧ هـ.

وكذلك نقل ابن تغري بردي في المنهل الصافي[٩] عن الذهبي أنه ولد سنة ٦٩٧ هـ، وذكر أيضا في الدليل الشافي[١٠] على المنهل الصافي : أن ولادته سنة ٦٩٧ هـ تقريبا.

ويبقى الرأى الأول هو الراجح؛ لأنه هو المشهور، وهو الغالب، وغير ذلك يعد شاذا وخارجا عن رأي الجمهور والأغلبية، والله أعلم بالصواب .

المبحث الثاني
خلقه وأوصافه

كان العلامة ابن فضل الله العمري رحمه الله تعالى قوي النفس ذا أخلاق شرسة[١١]؛ أي عزيز النفس، غيورا لا تأخذه في الله لومة لائم، قال ابن كثير[١٢]: كان يشبه القاضي الفاضل في زمانه، حسن الذاكرة، سريع الإستحضار، جيد الحفظ، فصيح اللسان، جميل الأخلاق يحب العلماء والفقراء .

وقال الصفدي[١٣]: (...هذا إلى ما فيه من لطف أخلاق، وسعة صدر، وبشر محيا، رزقه الله أربعة أشياء لم أرها اجتمعت في غيره، وهي الحافظة؛ قلما طالع شيئا إلا وكان مستحضرا لأكثره، والذاكرة التي إذا أراد ذكرى شيء من زمن متقدم كان ذلك حاضرا كأنه إنما مر به بالأمس والذكاءالذي تسلط به على ما أراد، وحسن القريحة في النظم والنثر... وأضاف الله تعالى له إلى ذلك كله حسن الذوق الذي هو العمدة في كل فن .

إلى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من الصفات الحميدة، والشيم والأخلاق الفضيلة، والتقوى، والورع، والزهد عن الدنيا مما جعله الله تعالى من أوليائه بعلمه؛ لأن علم الله لا يهدى لعاص.

وهذا كله تؤكده لنا تصنيفاته وتأليفاته .

المبحث الثالث

حياته العامة

لقد تقلب العلامة ابن فضل الله العمري _ رحمه الله تعالى _ في الوظائف المختلفة في مصر والشام؛ فكتب في الإنشاء لما ولي والده كتابة السر في دمشق، ثم أصبح معاونا لوالده في كتابة السر لكبر سن والده؛ وذلك في سنة ٧٣٣هـ إلى سنة ٧٣٨هـ؛ إذ تغير السلطان عليه وعزله عن الوظيفة[١٤].

هذا وقد اختصر أبو الفدا[١٥] سرد حياته العامة بأنه كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد والده محيي الدين، ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين، ثم كتب السر بدمشق، ثم عزل، فتفرغ للتأليف والتصنيف حتى توفي عن نعمة وافرة، ودخل رحمه الله تعالى قبل وفاته بمدة معرة النعمان[١٦]، وأقام بمدرستها . وهذا ما يؤكد قولنا إنه أعجوبة الدهر؛ إذ تبين لنا مما ذكرنا أنه تفرغ للتأليف والتصنيف بعد عزله عن الوظيفة في سنة ٧٣٨هـ أي عندما كان عمره ثمانيا وثلاثين سنة؛ وبقيت من عمره إحدى عشرة سنة فقط !

المبحث الرابع

وفاته

لقد خسر عشاق العلم أحد أكبر رموز العلم والتصنيف الذي لايضاهى في ثقافته الواسعة وتصانيفه الكثيرة في سنوات عمره القليلة؛ فقدوافاه أجل ربه المحتوم وهو في التاسعة والأربعين من عمره فقط، ولحق برفيقه الأعلى في يوم عرفة ــ أي التاسع من ذي الحجة، المصادف يوم السبت من عام ٧٤٩هـ، في مدينة دمشق التي وقع فيها طاعون عرف بالطاعون الأسود، في عصر وقع فيه الكثير من الكوارث الطبيعية التي كان من ضمنها هذا الطاعون الأسود الذي لم يسمع مثله، ومات بسببه نصف الناس، من ضمنهم الشيخ ابن فضل الله الذي قلق بسببه وبكى، وجزع، وتطاير كثيرا، وراعى القواعد الطبية، وانجمع عن الناس وانعزل، وعزم على الحج، واشترى الجمال وبعض

الحاجات، ثم انه بطل ذلك وتوجه بزوجته ــ ابنة عمه ــ وولديه إلى القدس الشريف، وصاموا رمضان هناك، حيث ماتت زوجته؛ فدفنها هناك، ثم حضر إلى دمشق وهو طائر العقل؛ فيوم وصوله برد، وحصلت له حمى (رِبعٍ)[١٧] فأضعفته إلى أن اشتدت به فتوفي شهيدا بدارهم داخل باب الكراديس؛ وليس يباشر شيئا من الرياسة والسعادة والأموال الجزيلة والأملاك والمرتبات الكثيرة، وعمر دارا هائلة بسفح جبل قاسيون[١٨] بالقرب من الركنية شرقيها ليس بالسفح مثلها، وصلي عليه بالجامع الأموي، ودفن بالسفح مع أبيه وأخيه بدر الدين محمد بالصالحية بالقرب من اليغمورية عليه رحمات الله عز من علاه[١٩].

وقد ذكر ابن إياس[٢٠] وفاته ضمن وفيات سنة ٧٥٠هـ، هذا وقد جاء في فوات الوفيات[٢١] (سهوا)من المحقق: أنه توفي سنة ٦٤٩هـ.

حياته العلمية

المبحث الأول:

ثقافته:

لقد ذكر المؤلفون على اختلاف طبقاتهم العلامة ابن فضل لله العمري بما يستحق من أوصاف ونعوت يحملها بفضل ذلك القدر الهائل من الثقافة، وكذلك بلوغه هذا المبلغ من المستوى الرفيع على صعيد مختلف فنون العلوم والآداب؛ فقد نعته الصفدي[٢٢] بـ(الإمام الفاضل، البليغ، المفوه، الحافظ، حجة الكتّاب، إمام أهل الآداب، أحد رجالات الزمان كتابة وترسلا[٢٣]، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسلا، وإماماً على الأسود في غابها، وإرغاماً لأعاديه بمنع رغابها، يتوقد ذكاء وفطنة، ويتلهب ويتحدر سيله ذاكرة وحفظا، ويتصبب ويتدفق بحره بالجواهر كلاما، ويتألف إنشاؤه بالبوارق المتسرعة نظاما، ويقطر كلامه فصاحة وبلاغة، وتتدى عبارته انسجاماً وصياغة، وينظر إلى غيب المعاني من ستر رقيق، ويغوص في لجة البيان؛ فيظفر بكبار الدر من البحر العميق، استوت بديهته وارتجاله، وتأخر عن فروسيته من هذا الفن رجاله، يكتب من رأس قلمه بديها ما يعجز القاضي الفاضل أن يدانيه تشبيها، وينظم من المقطوع والقصيد جوهراً ما يخجل الروض

الذي باكره الحيا مزهرا، صرف الزمان أمراً ونهيا، ودبرالممالك تنفيذاً ورأيا، وصل الأرزاق بقلمه، ورويت تواقيعه وهي إسجالات حِكَمه وحُكمه، لا أرى أن اسم الكاتب يصدق على غيره ولا يطلق على سواه).

(...اما نثره فلعله في ذروة كان أوج الفاضل لها حضيضا، ولا أرى أحداً يلحقه فيه إلا الأفراد، وأضاف الله تعالى لـــه إلى ذلك كله حسن الذوق الذي هو العمدة في كل فن، وهو أحد الأدباء الكَمَلة الذين يقومون بالأدب علماً وعمـــلا في النظم والنثر، ومعرفةً بتراجم أهل عصرهم، ومن تقدمهم على اختلاف طبقات الناس، وبخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة، ثم انه يشارك من رأيته من الكَمَلة في أشياء، وينفرد عنه بأشياء بلغ فيها الغاية، وقصر ذلك عن شأوه[٢٤]؛ لأنه جود من الإنشاء النثر وهو فيه آية، والنظم وسائر فنونه، والترسل البارع عن الملوك، ولم أر من يعرف تواريخ المغل من لدن جنكزخان، وهلم جرا معرفته، وكذلك ملوك الهند والأتراك . وأما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وخواصها فانه فيها آية وقته، وكذلك معرفة الإسطرلاب، وحل التقويم، وصور الكواكب).

ويقول ابن تغري بردي[٢٥]:(انه كان إماماً بارعا، وكاتباً فقيها، نظم كثيراًمن القصائد والأراجيز والمقطعات والدوبيت، وأنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع...وكان بارعاً في فنون). بينما وصفه عمر رضا كحالة[٢٦] بـــ: (أنه أديب، ناظم، ناثر، مؤرخ).

فهذا القدر من نعته بهذه النعوت الثقافية من العلماء الأعلام كاف لكل منصف ليقر في قرارة نفسه بهذا المستوى العالي ؛بل بهذه الذروة من مكانة العلامة الفاضل ابن فضل الله العمري في شتى مجالات الثقافة والفنون والآداب . هذا ومن جميل شعره الذي كانت له اليد الطولى الى جانب بقية الفنون وهو في مدح النبي(صلى الله عليه وسلم)[٢٧]:

يامعشر العشاق هذا أنتم ــ وحبيبكم والليل داجي الغيهب
قوموا انظروا وتمتعوا بجماله ــ وتأملوا فجماله لم يحجب
وتزودوا قبل الرحيل فإنه ــ لم يبق غير هنيهة لم تذهب
قرب الفراق فليته لم يقترب ــ منا وليت مطيه لم تـــقرب
أيام عمري ما أقمت بطيبة ــ أما سواه فإنني لـــم أحسب
ليت الزمان يدوم لي بوصالها ــ أو لم يجد فبطيفها المتأوب

المبحث الثاني
شيوخه[٢٨]

كما هو معلوم ومسلّم به فإن ابن فضل الله رحمه الله كان موسوعة في شتى العلوم والفنون، وتؤيد ذلك عملية سرد يسيرة لأسماء الشيوخ والعلماء الأعلام الذين درس عليهم ابن فضل الله مختلف العلوم والآداب كالعروض والمعاني والبيان واللغة والفصيح والشعر، وغير ذلك؛ الأمر الذي يدل على اعتراف هؤلاء العلماء الأعلام بمدى قوة وإمكانية استيعاب عقله كل هذه العلوم؛ وإلا لما قبلوا تدريسه كل هذه الصنوف من العلوم؛ فمن هؤلاء :

١- علاء الدين الوداعي، علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن يزيد الوداعي، الكندي، الأسكندري، الشاعر المشهور، المعروف بكاتب ابن وداعة، قرأ عليه العروض والأدب، سنة ٧١٦هـ[٢٩].

٢- ست الوزراء، بنت عمر بن أسعد المنجا التنوخية، الدمشقية، الحنبلية، أم عبدالله، سمع منها بدمشق، توفيت سنة ٧١٦هـ[٣٠].

٣- الشيخ شمس الدين ابن الصائغ، محمد بن سباع أبي بكر الجذامي، المصري الأصل، الدمشقي المولد، وقد قرأ عليه العروض والأدب، توفي سنة ٧٢٠هـ[٣١].

٤- الشيخ شهاب الدين أبوالثناء محمود بن سلمان بن فهد الحلبي، الدمشقي، الحنبلي، وقد قرأ عليه المعاني والبيان، توفي سنة ٧٢٥هـ[٣٢].

٥- الشيخ كمال الدين ابن قاضي شهبة، أبو محمد عبد الوهاب ابن ذؤيب الأسدي، الشهبي، الشافعي، أخذ عنه النحو واللغة، توفي سنة ٧٢٦هـ[٣٣].

٦- قاضي القضاة، شمس الدين بن مسلم، أبو عبدالله محمد بن مالك بن مزرع بن جعفر الصالحي، الحنبلي، وقد قرأ عليه العربية، توفي سنة ٧٢٦هـ[٣٤].

٧- الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني، أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الكريم، قاضي القضاة، وقد قرأ عليه العروض، توفي سنة ٧٢٧هـ[٣٥].

٨- الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحافظ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن تيمية، قرأ عليه الأحكام الصغرى، توفي سنة٧٢٨هـ[٣٦].

٩- الشيخ برهان الدين بن الفركاح، إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري، فقيه الشام، وقد قرأ عليه الفقه، توفي سنة ٧٢٩هـ[٣٧].

١٠- الحجار، أحمد بن أبي طالب ابن أبي النعيم، نعمة بن حسن بن علي بن بيان الصالحي، ابو العباس، وقد سمع منه بدمشق، توفي سنة ٧٣٠هـ[٣٨].

١١- قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن المجد عبدالله بن الحسين بن علي، الأربلي، الزرزاري، الشافعي، قرأ عليه الفقه، توفي سنة ٧٣٨هـ[٣٩].

١٢- الشيخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان، الغرناطي، المغربي، المالكي، الشافعي، أخذ عنه الفصيح والأشعار الستة، والدريدية، وأكثر ديوان أبي تمام، وغير ذلك، توفي سنة ٧٤٥هـ[٤٠].

١٣- الحافظ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني، الشافعي، توفي سنة ٧٤٨هـ[٤١].

١٤- الشيخ شمس الدين الأصبهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي، العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصبهاني؛ وقد أذن له في الإفتاء على مذهب الإمام الشافعي، توفي سنة ٧٤٩هـ[٤٢].

المبحث الثالث

تلامذته

على الرغم من عدم ذكر المتتبعين تأريخ الشيخ ابن فضل الله، وعدم سردهم أسماء من درسوا عليه، وأخذوا عنه العلوم، سوى قول الصفدي حين تعداده مصنفات شيخنا شهاب الدين الذي نصه: (ودمعة الباكي، ويقظة الساهر، وقرأتهما عليه)[٤٣]، وكذلك قوله: (وسمعت من لفظه غالب ما أنشأه)؛ مما يؤكد تلمذته عليه؛ إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أنه لم يتتلمذ عليه أحد غيره؛ لأن هذا أمر مستحيل، وغير معقول؛ لأن عالما بهذا المستوى، والغني عن التعريف بفضل وشهادة مصنفاته وموسوعاته في مختلف الفنون والآداب لا يعقل أن يترك دون التتلمذ عليه وعدم الاستفادة منه في عصر كان الناس مقبلين على العلم ونشره، وخير دليل على ذلك هو وجود كل هذه النسخ المتعددة

والمختلفة من موسوعته التي بين أيدينا فضلاً عن بقية مؤلفاته غير القليلة؛ الأمر الذي يدل ببداهة على ان نتاجات الشيخ كانت مرموقة بين الناس من أهل العلم وطلابه فكيف يترك الشيخ نفسه وقد كان محباً وتواقاً للعلم ونشره، ومتفرغاً للتحصيل والاستزادة والاستفادة وإلافادة، وعصره كان عصراً ذهبياً ــ كما أسلفنا ــ في مجال العلم والعلماء.

المبحث الرابع

مؤلفاته

لقد ترك لنا الشيخ ما ترك من ذخائر ماييهر العقول ــ كما أسلفنا ــ وذلك لهذا الكم الهائل منها وفي هذا العمر القصير الذي عاشه وهو تسعة وأربعون عاماً فقط؛ فمن جملة ما وقع تحت نظري من ذكره أذكر:

١-تذكرة الخاطر[٤٤]

٢-التعريف بالمصطلح الشريف في مراسم الملك[٤٥]، (مطبوع)

٣-حسن الوفاء لمشاهير الخلفاء (قصيدة رائية)[٤٦].

٤-الدائرة بين مكة والبلاد[٤٧].

٥-الدرر الفرائد (في تراجم الملوك والوزراء والقضاة والعلماء والأدباء وشعراء المغرب ــ وهو مختصر قلائد العقيان في محاسن الأعيان، لأبي النصر الفتح بن خاقان)[٤٨].

٦-الدعوة المستجابة[٤٩].

٧-دمعة الباكي ويقظة الشاكي[٥٠]، (في الأدب).

٨-ذهبية العصر (في ترجمة مشاهير أهل المئة الثامنة)[٥١].

٩-رسالة في أمر مشاهير ممالك الفرنج، عباد الصليب في البر والبحر، بإقليمي الشرق ومصر في أيام نور الدين زنكي، وأواخر الدولة العبيدية في مصر[٥٢]، (مطبوعة).

١٠-سفرة السافر ويقظة المسافر[٥٣].

١١- الشتويات، (مجموعة رسائل شتاء زاخر بالجليد، سنة ٧٤٤/٧٤٥هـ، في دمشق كتبها إلى عدد من العلماء توجد مع الردود عليها في مخطوط ليدن، ٣٥١، وجامعة استانبول ٣١٠٤)(٥٤).

١٢- صبابة المشتاق، (في المدائح النبوية عليه السلام والتحية)(٥٥).

١٣- فواصل(٥٦) السمر في فضائل آل عمر(٥٧).

١٤- مسالك الأمصار في ممالك الأبصار(٥٨).

١٥- النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية(٥٩).

١٦- نفحة الروض، (في الأدب)(٦٠).

١٧- يقظة الساهر، (في الأدب)(٦١).

خلاصة البحث

قلت إن الشيخ العلامة ابن فضل الله العمري الدمشقي (رحمه الله تعالى): يعد بحق أعجوبة من أعاجيب الدنيا بالمقارنة بما نرى وما هو موجود في واقعنا في عصرنا الحاضر؛ إذ كان الشيخ ــ رحمه الله ــ ليس موسوعة في اختصاص دون اختصاص؛ بل كان موسوعة في شتى الاختصاصات والعلوم؛ كما يتبين لنا ويتضح ببداهة من ذلك الكم الهائل من مصنفاته الكبيرة والمتعددة في مختلف العلوم والفنون، ومن دراسته هذه العلوم والفنون على تلك النخبة من العلماء الأعلام ذوي مختلف الاختصاصات؛ كل ذلك مما ذكرناه في هذه الأسطر القليلة؛ وهو كثير وكثير في الواقع والحقيقة بحيث إذا تدبرنا وأمعنا النظر فيها لم تستوعبه عقولنا بأي شكل من الأشكال؛ لأن كل ذلك قد حصل في عمره الذي لم يتجاوز التاسعة والأربعين؛ فيا عجباً لهذا الأمر كل هذه المصنفات التي يصل عددها الذي توصلت إليه إلى عشرين مصنفاً تقريباً، وأحدها وهو (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) هو سبعة وعشرون مجلداً؛ بحث فيه كل العلوم من جغرافية وأقاليم الأرض، وممالك إلاسلام؛ وكذلك الهند، وجنكزخان، والأتراك، ومصر، والشام، والحجاز، واليمن، والحبشة، والسودان، ومالي، وجبال البربر، وأفريقيا، والأندلس، وكذلك تحدث فيه عن سكان الأرض، ومشاهير القراء، والمحدثين، والفقهاء، والنحويين، وأهل اللغة في المشرق والمغرب.

وكذلك تحدث فيه عن الحكماء اليونان والمغاربة والأطباء العرب والسريان، وكذلك حكام أهل الموسيقى.

وتحدث فيه عن شعراء الجاهلية والمخضرمين، والأمويين، والعباسين، وشعراء المشرق والمغرب.

وكذلك بحث الحيوان، والدواب، والطير، والهوام، والحشرات، وحيوان الماء.

وتحدث كذلك فيه عن دول الحسنيين والحسينيين والأمويين والعباسيين، وكذلك حكام بني إسرائيل، والهند، والصين، والترك، والفرس، واليونان، والسريان، والإفرنج، والسودان، والعرب.

وتحدث فيه ايضاً عن الهجرة وتأريخها والخلفاء الراشدين والأمويين والأندلسيين والبرامكة، ودولة بني زياد والدولة اليمنية والفاطمية والملثمين وملك بني بويه.

وأخيراً تحدث فيه عن صلاح الدين، والحروب الصليبية!

كل هذا قد حصل في ذلك العدد القليل من سنوات عمره القصير؛ فعليه رحمات الله، وعلينا ببر كاته أجمعين.

الهوامش

(١) الكتبي، محمد بن شاكر أحمد (ت ٧٦٤هـ): فوات الوفيات، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ج١، ص١٥٧، وابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف جمال الدين (ت٨٤٧هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، والسيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت٩١١هـ): بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة دار الفكر، الناشر: دار الفكر، القاهرة، مصر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١، ص ٤٤٧، وكحالة عمر رضا: معجم المؤلفين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص٢٠٤.

(٢) في الوافي بالوفيات، للصفدي، خليل بن أيبك صلاح الدين (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار صادر، الناشر : فرانز شتاير، فيسبادن، ألمانيا، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ج٨، ص٢٥٢: (المجلي دعجان)، وفي النجوم الزاهرة، ٢٣٤/١٠: (المجلي بن دعجان).

(٣) في الوافي بالوفيات، ٢٥٢/٨:(عدي).

(٤) ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى(ت٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تصوير: فؤاد سزكين، مطبعة شتراوس، فرانك فورت، ألمانيا الاتحادية، نشر: معهد-تأريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا الإتحادية، ١٤٠٨هـ، ج٤، ص١٦٦.

(٥) أبو الفضل أحمد بن علي(٨٥٢هـ): الدرر الكامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج١، ص٣٣٣.

(٦) الذهبي، أبو عبدالله بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبي هاشم محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٤، ص، ١٥٢، والكتبي، م.س: ٣٣٤/١٠، وكحالة، م.س:٢٠٤/٢؛ إذ يشير إلى السنة فقط، وابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج٦، ص١٠٦؛ قائلا فقط : ولد بدمشق في شوال، سنة ٧٠٠هـ، والزركلي خير الدين

(ت١٣٩٦هـ):الأعلام، ط٦، مطبعة العلوم، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ج١، ٢٦٨.

(٧) الوافي بالوفيات: ٢٦٨/٨. ١٨

(٨) معجم المؤلفين: ٢٠٤/٢.

(٩) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م، ج٢، ص٢٦٢، ضمن ترجمتهاالمرقمة٣٣٨.

(١٠) تحقيق فهيم محمد شلتوت، مطبوعات جامعة أم القرى، مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٨٣م، ج١، ص٩٦، ضمن ترجمته المرقمة ٣٣٦.

(١١) ابن العماد، م.س: ١٦٠/٦.

(١٢) ابن كثيرأبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج١٤، ص٢٢٩.

(١٣) الوافي بالوفيات: ٢٥٣/٨ ــ ٢٥٤.

(١٤) ابن تغري بردي، م.س: ٢٥٣/١٠.

(١٥) أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج٤، ص١٥٥.

(١٦) معرة النعمان، هي: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة، معجم البلدان، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبدالله الرومي، البغدادي(ت٦٢٦هـ)، دار صادر بيروت، لبنان، ١٥٦/١٩٦٥:٥.

(١٧) وهي الحمى التي تأتي يوما وتذهب يومين وتعود في اليوم الرابع. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، تحقيق: عبد.أ.علي مهنا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، مج١،ص٤٦٢.

(١٨) الجبل المشرف على غوطة دمشق.

(١٩) أبو الفدا، م.س: ١٥٥/٤، والصفدي، م.س:٢٦٨/٨، وابن كثير، م.س: ٢٢٩/١٤، وابن تغري بردي، م.س: ٢٣٤/١٠، وابن العماد، م.س: ١٦٠/٦، وكحالة، م.س: ٢٠٤/٢.

(٢٠) محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور تحقيق: محمد محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ/١٩٨٢م، ج١، ص٥٣٣.

(٢١) للكتبي.

(٢٢) الوافي بالوفيات: ٢٥٢/٨ ــ ٢٦٨، والكتبي، م.س:١٥٧/١ ــ ١٥٩.

(٢٣) أي التحقق والتمهل في الكتابات والرسائل، لسان اللسان، ابن منظور، م.س:٤٨٥/١.

(٢٤) الشأو: الشوط، إبن منظور، م.ن: ٦٤٨/١.

(٢٥) النجوم الزاهرة:٢٣٤/١٠.

(٢٦) معجم المؤلفين: ٢٠٤/٢ .

(٢٧) الصفدي، م.س: ٢٦٥/٨ ــ ٢٦٦ .

(٢٨) أبو الفدا، م.س، ج٤، ص١٣٢، والمقريزي، أحمد بن علي تقي الدين (ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف ب(الخطط المقريزية)، دار صادر، بيروت، لبنان، ج٢، ص٢٣٩ ــ ٢٤٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٩٤و ٢٣٤/١٠ .

(٢٩) ابن تغري بردي، م.س: ٢٣٥/٩ ــ ٢٣٦ .

(٣٠) م.ن: ٢٣٧/٩ .

(٣١) م.ن: ٢٤٨/٩ ــ ٢٤٩ .

(٣٢) م.ن: ٢٦٤/٩ ــ ٢٦٥ .

(٣٣) ابن كثير، م.س: ١٤/ ١٢٦ ــ ١٢٧ .

(٣٤) م.ن: ١٤/ ١٢٦ .

(٣٥) ابن تغري بردي، م.س:٢٧٠/٩ ــ ٢٧١ .

(٣٦) م.ن: ٢٧٠/٩ ــ ٢٧٢ .

(٣٧) الصفدي، م.س: ٤٣/٦، والعسقلاني م.س: ٣٥/١ ــ ٣٦ .

(٣٨) العسقلاني، م.س: ١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٣٩) ابن تغري بردي، م.س: ٩/ ٣١٤ ــ ٣١٥ .

(٤٠) الصفدي، م.س ٢٥٥/٨، وابن تغري بردي، م.س: ١١١/١١٠ ــ ١١٥ .

(٤١) ابن تغري بردي، م.س: ١٨٢/١٠ ــ ١٨٣ .

(٤٢) العسقلاني، م.س: ٩٥/٥ ــ٩٦ .

(٤٣) الوافي بالوفيات، ٢٥٥/٨ .

(٤٤) حاجي خليفة مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧هـ): كشف الظنون لأسامي الكتب والفنون، وكالة المعارف، إستانبول، تركيا، نشر: مكتبة المثنى، بغداد، العراق، ١٩٥٥م، ج١، ص٣٨٥ . ٢٠

(٤٥) م، ن: ٤٢٠ ــ ٤٢١ و١١٣٢/٢، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م في ٤٤٨ صفحة.

(٤٦) م، ن: ٦٦٨/١.

(٤٧) الزركلي، م.س: ٢٦٨/١.

(٤٨) م.ن: ٦٦٨/١، وبروكلمان، تأريخ الأدب العربي، أشرف على ترجمته: أ.د محمود فهمي حجازي، الهئية المصرية، للكتاب، القاهرة، ١٩٥٥، القسم السادس، ص٥٩٤ اعتمادا على ما ذكره أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٤٣/٣.

(٤٩) الصفدي، م.س: ٢٥٥/٨، وحاجي خليفة، م.س: ٧٥٦/١.

(٥٠) الكتبي، م.س: ١٦٠/١، والصفدي، م.س: ٢٥٥/٨، وحاجي خليفة، م.س: ٧٦١/١، وإسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي، هدية العارفين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٧٠م، ج١، ص١١٠.

(٥١) حاجي خليفة، م.س: ٨٢٩/١.

(٥٢) الزركلي، م.س: ٢٦٨/١، وبروكلمان، م.س، ص٥٩٤ ــ٥٩٥.

(٥٣) الكتبي، م.س: ١٦٨/١، والصفدي، م.س: ٢٥٥/٨، وحاجي خليفة، م.س: ٩٩٢/٢.

(٥٤) الزركلي، م.س: ٢٦٨/١، وبروكلمان، م.س: ٥٩٤.

(٥٥) الكتبي، م.س: ١٦٠/١، الصفدي، م.س: ٢٥٥/٨، وحاجي خليفة، م.س: ٢٩٣/٢.

(٥٦) في بعض المصادر :(فواصل).

(٥٧) الكتبـــي، م.س: ١٦٠/١، والصـــفدي، م.س: ٢٥٥، وحـــاجي خليفـــة، م.س:٢٩٣/٢.

(٥٨) وقد حققت منه موضوع مشاهير أهل اللغة.

(٥٩) الزركلي، م.س: ٢٦٨/١، وذكر بروكلمان، م.س٥٩٣ ــ٥٩٥: أن هذا الكتاب ينسب له دون وجه حق، وذكر له نسخة مخطوطة في ليبزك تحت رقـم ٤٩٣ تتضـمن رسالة تيمور لنك إلى السلطان برقوق المتوفى ٨٠١هـ/١٣٩٩م.

(٦٠) الصفدي، م.س: ٢٥٥/٨، وحاجي خليفة، م.س: ١٩٦٨/٢، والزركلـي، م.س: ٢٦٨/١.

(٦١) الصفدي، م.س: ٢٥٥/٨، وحاجي خليفة، م.س:٢٦٨/٢.

قائمة المصادر والمراجع

١- الأعلام، الزركلي خير الدين (ت١٣٩٦هـ)، ط٥، مطبعة العلوم، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ): تحقيق: محمد محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ/١٩٨٢م.

٣- البداية والنهاية، ابن كثير أبو الفدا إسماعيل (ت٧٧٤هـ) دار الفكر، بيروت، لبنان.

٤- بغية الوعاة، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة دار الفكر، الناشر: دارالفكر، القاهرة، مصر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥- الدرر الكامنة لأعيان المئة الثامنة، العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

٦- الدليل الشافي على المنهل الصافي، ابن تغري بردي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطبوعات جامعة أم القرى، مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٨٣م.

٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، لبنان.

٨- العبر في خبر من غبر، الذهبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) تحقيق أبي هاشم محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار كتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩- فوات الوفيات، الكتبي محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الناشر: دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

١٠-كشف الظنون لأسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧هـ)، وكالة المعارف، إستانبول، تركيا، نشر: مكتبة المثنى، بغداد، العراق، ١٩٥٥م، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ في ٤٤٨ صفحة.

١١-لسان اللسان، تهذيب لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) تحقيق: عبد.أ.علي مهنا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٢-المختصر في أخبار البشر أبوالفدا عماد الدين (ت٧٣٢هـ)، دارالمعرفة اللطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج٤، ص١٥٥. ٢٢
١٣-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري أبو شهاب أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ) تصوير: فؤاد سزكين، مطبعة شتراوس، فرانكفورت، ألمانيا الإتحادية، نشر: معهد تأريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا الإتحادية، ١٤٠٨هـ.
١٤-معجم المؤلفين، كحالة عمر رضا، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١٥-المنهل الصافي، ابن تغري بردي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م
١٦-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ(الخطط المقريزية)، المقريزي أحمد بن علي تقي الدين (ت٨٤٥هـ)، دارصادر، بيروت، لبنان، .
١٧-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف جمال الدين(٨٤٧هـ) ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.
١٨-هدية العارفين، إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٧٠م.
١٩-الوافي بالوفيات، الصفدي، خليل بن أيبك صلاح الدين (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار صادر، الناشر: فرانزشتاير، فيسبادن، ألمانيا، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.